

تفسير البحر المحيط

@ 451 الأيكة اسم الناحية ، فيكون علماً . ويقويه قراءة من قرأ في الشعراء وص :
ليكة ممنوع الصرف . كفروا فسلطوا عليهم الحر ، وأهلكوا بعذاب الظلة . ويأتي ذلك
مستوفى إن شاء الله تعالى في سورة الشعراء . وإن عند البصريين هي لمخففة من الثقيلة ،
وعند الفراء نافية ، واللام بمعنى ألا . وتقدم نظير ذلك في : { وَإِنْ كَانَتْ
لَكَبِيرَةٌ } في البقرة . والظاهر قول الجمهور من أن الضمير في وأنهما عائد على
قريتي : قوم لوط ، وقوم شعيب . أي : على أنهما ممر السائلة . وقيل : يعود على شعيب
ولوط أي : وإنهما لبإمام مبين ، أي بطريق من الحق واضح ، والإمام الطريق . وقيل :
وإنهما أي : الحر بهلاك قوم لوط وأصحاب الأيكة ، لفي مكتوب مبين أي : اللوح المحفوظ .
قال مؤرج : والإمام الكتاب بلغة حمير . وقيل : يعود على أصحاب الأيكة ومدين ، لأنه مرسل
إليهما ، فدل ذكر أحدهما على الآخر ، فعاد الضمير إليهما . .

{ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحَجَرِ الْمُرْسَلِينَ * وَءَاتَيْنَاهُمْ *
فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يُنذِرُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا
ءَامِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ * فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَسَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ } : أصحاب الحجر ثمود قوم صالح عليه السلام ، والحجر أرض بين
الحجاز والشام ، وتقدمت قصته في الأعراف مستوفاة . والمرسلين يعني بتكذيبهم صالحاً ،
لأن من كذب واحداً منهم فكأنما كذبهم جميعاً . قال الزمخشري : أو أراد صالحاً ومن معه
من المؤمنين كما قيل : الخبيبيون في ابن الزبير وأصحابه . وعن جابر قال : مررنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم (على الحجر فقال لنا : { لَا تَدْخُلُوا * مَسَاكِينَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ * إِلَّا أَنْ * تَكُونُوا * حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْ تُمْ
لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ } ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم) راحلته
فأسرع حتى خلفها وفي بعض طرقه ثم قال : { هَؤُلَاءِ قَوْمٌ * صَالِحٌ * وَمَا يُؤْمِنُ
أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا * وَهُمْ * مُشْرِكُونَ * فَأَلَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ
غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ * } قيل : من هو يا رسول الله ؟ قال : (أبو رغال) وإليه
تنسب ثقيف . .

وأتيناهم آياتنا قيل : أنزل إليهم آيات من كتاب الله ، وقيل : يراد نصب الأدلة فأعرضوا
عنها . وقيل : كان في الناقة آيات خمس . خروجها من الصخرة ، ودنو نتاجها عند خروجها ،
وعظمها حتى لم تشبهها ناقة ، وكثرة لبنها حتى يكفيهم جميعاً . وقيل : كانت له آيات غير

الناقة . وقرأ الجمهور : ينجثون بكسر الخاء . وقرأ الحسن ، وأبو حنيفة بفتحها وصفهم بشدة النظر للدنيا والتكسب منها ، فذكر من ذلك مثالا وهو نقرهم بالمعاول ونحوها في الحجارة . وآمنين ، قيل : من الانهدام . وقيل : من حوادث الدنيا . وقيل : من الموت لاغترارهم بطول الأعمار . وقيل : من نقب اللصوص ، ومن الأعداء . وقيل : من عذاب الله ، يحسبون أنهم الجبال تحميهم منه . قال ابن عطية : وأصح ما يظهر في ذلك أنهم كانوا يأمنون عواقب الآخرة ، فكانوا لا يعملون بحسبها ، بل كانوا يعملون بحسب الأمن منها . ومصبحين : داخلين في الصباح . والظاهر أن ما في قوله فما أغنى نافية ، وتحتل الاستفهام المراد منه التعجب . وما في كانوا يحتمل أن تكون مصدرية ، والظاهر أنها بمعنى الذي ، والضمير محذوف أي : يكسبونه من البيوت الوثيقة والأموال والعدد ، بل خروا جاثمين هلكى { وَمَا خَلَقْنَاهُ إِلَّا السَّامَآتِ وَالْأَرْضَ * وَمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا لَآلَءَ بِرَالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَفْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ * السَّامَآتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا لَآلَءَ بِرَالْحَقِّ وَإِنَّ الْجَمِيلَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَسَّافُ الْعَلِيمُ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْتَهُمْ بِهِمْ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْعُلَمَاءِ مَذِينًا * وَقُلْ إِنِّي أَنَا الذِّيرُ الْمُبِينُ * كَمَا أَنزَلْنَاهُ عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ * الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عَرْضِينَ * فَوَرَبَّكَ لَنَسْتَلَذِّنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ زَعَّمُوا بَعْثَ نَارِكَ بِضَيْقٍ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَ تَرْبِكَ الْيَقِينُ } : إلا بالحق أي : خلقا ملتبسا بالحق . لم يخلق شيء من ذلك عبثا ولا هملا ، بل ليطيع من أطاع بالتفكر في ذلك الخلق العظيم ، وليتذكر النشأة الآخرة بهذه النشأة الأولى . ولذلك نبه من يتنبه بقوله : وأن الساعة آتية ، فيجازي من أطاع ومن عصي . ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم (بالصفح